فاخذ على عقبة فيق يريد مشق وكان اهل بيسان وما حولها قد اظهروا النزول
السلطان هناك فاقاموا في اماكنهم وما هو الا ان سار السلطان واذا بالفرنج وضعوا
السيف في الناس ونهبوا البلاد فحازوا من اموال المسلمين ما لا يحصى كثره واخذوا بيسان
وبانياس وساير القرى التي هناك واقاموا ثلاثة ايام ثم عادوا الى مرج عكا بالغنايم
والسبي وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج بالمرج اياما ثم اغاروا ثانيا
ونهبوا وصيدا والشقيف وعادوا الى مرج عكا فاقاموا به وكان ذلك كله فيما بين النصف
من شهر رمضان وعيد الفطر والملك العادل مقيم بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم
عيسى بعسكر الى نابلس لمنع الفرنج من طرقها والوصول الى بيت المقدس فنازل الفرنج
قلعة الطور سبعة عشر يوما ثم عادوا الى عكا وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا
بجموعهم البحر وساروا الى دمياط في صفر سنة خمسة عشر وستماية وقيل بل كان
نزولهم عليها في ثاني شهر ربيع الاول الموافق لثامن حزيران وهو نحو السبعين الف فارس
وراجل سوى الف راجل تخلفوا باعقاب دمياط في البر الغربي وحفروا خندقا واقاموا عليه سورا
وشرعوا في قتال برج دمياط فانه كان برجا منيعا فيه سلاسل من حديد غلاظ يمتد على
النيل لمنع المراكب الواصلة في البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وذلك ان
النيل اذا انتهى الى بسطاط مصر مر عليه في ناحية الشمال الى شطنوف فاذا صار الى
شطنوف انقسم قسمين احدهما يمر في الشمال الى رشيد فيصب في البحر الملح والشعبة
الاخرى من شطنوف الى جوجر ثم يتفرق من عند جوجر فرقتين فرقة تمر الى اشموم
فتصب في بحيرة تنيس وفرقة تمر من جوجر الى دمياط فتصب في البحر الملح هناك
وتصير هذه الفرقة من النيل فاصلة بين مدينة دمياط وبين البر الغربي وهذا البر
الغربي من دمياط بعرف بجزيرة دمياط وهو جزيرة يحيط بها ما النيل والبحر الملح
وفي مدة اقامة الفرنج بهذا البر الغربي عملوا الآلات والمرمات واقاموا ابراجا يرجمون
بها في المراكب التي في برج السلسلة ليملكوه فانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور في النيل الى
القاهرة ومصر وكان هذا البرج مستحونا بالمقاتلة فبلغ نزول الفرنج على دمياط
الملك الكامل وكان تخلف اباه العادل على ديار مصر فخرج بمن معه من العساكر في ثالث
يوم من وقوع الطاير بخبر نزول الفرنج لخمس خلون منه وامروا الى الغربية بجمع

وسار في جمع كثير وخرج الاسطول فاقام تحت دمياط وامتدت عساكره الى دمياط
لمنع الفرنج من العبور والقتال مستمر والبرج يمتنع مدة اربعة اشهر والعادل
يسير العساكر من البلاد الشامية شيا بعد شيء حتى تكاملت عند الملك الكامل واهتم
الملك العادل لنزول الفرنج على دمياط واشتد خوفه فرحل من مرج الصفر الى عالقين
نزل به المرض ومات في سابع جمادي الاخرة فكتم الملك المعظم عيسى موته وحمله في
محفة وجعل عنده خادما وطبيبا راكبا الى جانب المحفة والشراب دايم يصلح الشراب
ويحمله الى الخادم فيشربه وتوهم الناس ان السلطان شربه الجان فدخلوا الى قلعة دمشق
ومارت الايمان الحداين والبيوتات فاعلم بموته وتسلم ابنه الملك المعظم جميع ما كان معه
ودفنه بالقلعة ثم نقله الى المدرسة العادلية بدمشق وبلغ الملك الكامل موت ابيه
وهو بمنزلة العادلية قرب دمياط فاستقل بمملكة ديار مصر واشتد الفرنج والحوا
في القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا السلاسل المتصلة به لتعبر مراكبهم
في بحر النيل وتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسرا عظيما لمنع
الفرنج من عبور النيل فقاتلت الفرنج عليه قتالا كثيرا الى ان قطعوه وكان قد انفق على
البرج والجسر ما ينيف على سبعين الف دينار وكان الكامل يركب كل يوم عدة مرار من
العادلية الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيلة في مكايدة الفرنج فامر الملك الكامل
ان يغرق عدة من المراكب في النيل حتى تمتنع الفرنج من سلوك النيل نحو الفرنج الى
خليج هناك يعرف بالاشرف كان النيل يجري فيه قديما فحفروه وعمقوا حفره واجروا
فيه الماء الى البحر الملح واصعدوا اسراكبهم فيه الى بوره على ارض جزيرة دمياط مقابل
المنزلة التي بها السلطان ليقاتلوه من هناك فلما صاروا في بوره حاذوه وقاتلوه
في البر وجمعوا اليه عدة مراكب فلم يظفروا منه بطايل ولم يتغير على اهل دمياط شيء
لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل بحجز بينهم وبين الفرنج وابواب المدينة
مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة بحيث
امتنعوا الرقاد خوفا من غاراتهم فلما فتح الخليج صار يخطفهم نهارا ويأخذون الخيل بمن فيها لكن الفرنج لهم عدة كمنا وقتلوا منهم خلقا وادرك
الناس الشتا وهاج البحر على مخيم المسلمين وغرقهم فعظم البلا وتزايد الغم

Copyright © University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)